مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

# الأدب التفاعلي: نقل الثقافي المحلي إلى فضاء الهوية الإنسانية

اسحق على مُحَّد*


- الملخص:

تحاول هذه الورقة إضاءة دور الأدب التفاعلي في خدمة اللغة العربية والثقافة القطرية المحلية، ونقلها إلى فضاء الهوية الإنسانية عبر آلية تقنية؛ هي بوابة الدخول إلى عصر العولمة. تفترض أن يكون الأدب التفاعلي جسراً تعبر عليه الثقافة المحلية إلى الهوية الإنسانية، وهذا يفرض وصف الفعل اللغوي في الثقافة؛ أي علاقة اللغة بالثقافة ودورهما في تكوين الهوية، التي من خلالها نعرف أن هذا الأدب أدب سودانيٌ أو عراقيٌ أوغيره . وذلك من خلال علامات لغوية أو ثقافية، ومن ثمَ نسأل: كيف يستطيع الأدب للتفاعلي أن يجعل هذه الثقافة المحلية ثقافة إنسانية لها علاماتها اللغوية التي تعبر عنها، وتصنع هويتها. وطبيعة الدراسة تفرض المنهج الوصفي والاستعانة بالمنهج السيميائي اللغوي، بوصفه منهجا يبحث في المعنى في ارتباطه باللغة والثقافة والأيديولوجيا؛ بوصفها علامات هوية اجتماعية إنسانية. وسوف تتبع الدراسة هيكلا يتكون من تقديم في مصطلح الدراسة، ومتن بعنوان: الأدب التفاعليٌ جسر ثقافي إلى فضاء الهوية الإنسانية، وخاتمة.

**Abstract**:

The paper tries to highlight the role of the interactive literature in supporting the Arabic language and the national culture and transferring it to the domain of human identity through a technical mechanism which should be considered as threshold to globalization era. It assumes that the interactive literature should be a bridge to transfer the local culture into the human identity. Thus superimposes the description of the linguistic action in culture, or the relation between language and


* كلية أفريقيا الجامعية؛ السودان.

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

culture and its role in developing the identity through which we can know that this particular art is Sudanese or Iraqi…etc. by using certain linguistic and cultural signs and then ask how can the interactive literature transfer this local culture into human culture which has its own specific marks that form its identity. The nature of this study hypotheses the Descriptive method and the use of linguistic semantic method which studies the meaning of words and its relationship with language, culture and ideology since they are considered to be social human criteria. This study also follows special form that consists an introduction of terminology used in the study and body under the title: The interactive literature as cultural bridge into the domain of human identity and conclusion.

- مقدمة:

الأدب التفاعلي: هو الأدب الذي يوظّف معطيات التكنولوجيا الحديثة، خصوصًا المعطيات التي يتيحها نظام (النص المتفرع – Hypertext) ، في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية. ولا يمكن لهذا النوع من الكتابة الأدبية أن يتأتّى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني؛ أي من خلال شاشة الحاسوب. "البريكي، فاطمة، 2012م، 2"، ويكتسب هذا النوع من الكتابة الأدبية صفة "التفاعلية" بناءً على المساحة التي يمنحها للمتلقِّي، والتي يجب أن تعادل، وربما تزيد عن، مساحة المبدع الأصلي للنص، مما يعني قدرة المتلقي على التفاعل مع النص بأي صورة من صور التفاعل الممكنة"بن يامنة سامية، 2013م، 2".

الثقافي المحلي: هي طريقة حياة شعب يعيش معا في بقعة واحدة "بن يامنة سامية، 2013م،2"، وهو يعبر عن خبراته وتجاربه ومنجزاته المؤطرة لغويا ومعرفيا، والتي يمكن من خلالها تمييز هويته "بسيسو، عبدالرحمن، 2005م، 4".

فضاء الهوية الانسانية: الهوية هي فعل إنساني يسعى الى التمظهر، والتشكّل، مما يكسبه خصوصية أن يحمل مظاهر التفرد، والخصوصية لفرد ما، أو لشعب ما، لغة وفكرا، وعقيدة. "إنها باختصار طبيعة الرؤية الموجهة من الذات إلى الطبيعة، وإلى الوجود ككل" "بلقاسم، خروبي، 2005م، 391"، وكونها فعلا إنسانيا، فإن هذا يجعلها

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

مصدرا لجميع القيم الاجتماعية الثقافية، والإنسانية على السواء، ذلك لأنها توفر للإنسان الاجتماعي مناخا عقلانيا، وثقافيا، يجد فيه معنى لأفعاله، وتصرفاته، ومصنوعاته، وأفكاره. في أي مكان، وأي زمان.

- الأدب التفاعلي جسر ثقافي إلى فضاء هوية إنسانية:

ظل الأدب العربي في العصر الحديث يقتفي أثر الغرب في إحداث نقلة على مستوى أجناسه، أو مدارسه النقدية، هذا ما جعل الساحة الأدبية والنقدية في البلاد العربية تغصّ بمصطلحات كثيرة؛ كانت سببا في تفاوت الاستفادة من تلك المدارس لغموض تلك الاصطلاحات، مما أوجد قلة في الأكاديمي العربي؛ الباحث والناقد المبادر.

ولا يعدو أن يكون الأدب التفاعليٌ واحدا من تلك الأجناس التي بدأها الغرب وترك للعرب العربة الأخيرة في القاطرة.

لكن الأمر اليوم يختلف عن السنوات السابقة بعد النهضة العربية. فالعالم اليوم أصبح قرية صغيرة بفضل نظام العولمة الذي لا تعترف بالحدود الجغرافية لأي بلد، بل جعل من العالم قرية صغيرة. ويستخدم مفهوم العولمة لوصف كل العمليات التي تكتسب بها العلاقات الاجتماعية نوعاً من عدم الفصل وتلاشي المسافة، حيث تجري الحياة في العالم بوصفه مكاناً واحد" "بلقاسم، خروبي، 2005م، 391". فقد وفرت العولمة آلياتها في سوق العالم الثالث والعرب في القلب منه، وأصبح –بقبس زر– تستطيع أن تتحصل على المعلومة.

هكذا جاء الأدب التفاعلي مفسحا المجال للإبداع الإنساني المباشر، ولكنه —بطبيعة الحال– وليد عصر العولمة؛ العولمة بوصفها نظرية أيديولوجيا سياسية وثقافية واجتماعية، تمرر أنساقها على أذهان الآخر ليكون مفعولا في صورة فاعل.هذا الفعل/ الأيديولوجيا، جعل الشعوب تتساءل عن هويتها الثقافية، وسؤال الثقافة يستدعي سؤال اللغة، في ظل انفتاح كل المستويات؛ المعرفية والاجتماعية الجغرافية.

تأتي هذه الورقة لتقف على رهان الأدب التفاعلي في محاولته نقل الثقافي المحلي إلى الإنساني العالمي، من خلال الوقوف على أسئلة التنوع الثقافي، واللغة بوصفها علامة هوية ثقافية، ونظام اللغة الخاص وهيمنته على متحدثيها. كيف يوظَّف ذلك في الأدب التفاعلي من خلال ثقافة العولمة المتجهة إلى هوية إنسانية، تجعل الثقافي المحلي، والهوية الوطنية/الجغرافية تتحسس أرجلها أين تقف. وتبصّر المتلقي بزيف أيديويوجيا الشعارات السياسية، في رواية (شات)* "قرر نزار بناء غرفة وطن العشاق، أو مملكة الحب والحرية، كان يعبر عن شعور جمعي لدى الشباب العربي عموما، وهو حالة القرف من السياسة والسياسيين وعزوفه عن مقولاتهم ودعواهم وما إلى ذلك. إنها لحظة تعبير

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

عن خيبة أمل الشباب العربي من الساسة عموما، إنها لحظة بحث عن الذات، عن حرية مفتقدة، عن كينونة، عن ما يريده الشاب العربي حقيقة، وعن عدم إيمانه بكل ما يقوله ويفعله السياسيون في وطننا من محيطه لخليجه.

يقول نزار فيما يشبه المناجاة"احتاجك صديقتي وسط هذا الكم الهائل من الغباء والعبث، آلاف من الشباب ماتوا من غير معنى، وآلاف غيرهم ضاعوا.. اللعنة ماذا يهمني.. المهم أن لا أضيع أنا.. أية غرفة هذه... إن اسم هذه الغرفة غبي جدا.. سياسة.. أي اسم أغبى من هذا.. سياسة.. حين أسمع بالكلمة أصاب بالشيزوفرينيا، ويرتعد قلبي قرفا، تمر بذهني طوابير طويلة من شباب وصبايا بعمر الورد قضوا تحت رايات الشعارات البراقة الجوفاء، آلاف من الواهمين والحالمين والمخدوعين.. سياسة ياللقرف.. يعععععععع. سأبني غرفة لي، لا كهذه الغرف، غرفة أخرى لم تكن من قبل، وستكون للحب والشعر والحرية، غرفة تكون وطنا للعشاق، وسأكتب على بابها ممنوع دخول الكلاب والسياسيين" "ادريس، عبدالنور، 2006م، 5".

وتهبه فرصة تحقيق الذات، والامتلاء بالحرية. "في هذه الحالة الرقمية نكتشف العالم اكتشافا جديدا، فبعد أن كان صحراء لا متناهية، صار أصغر من حجرة واحدة يتحدث فيها جنسيات شتى، يعبرون فيها عن آرائهم في حرية تامة، فمن حديث حر عن الشيوعية والاشتراكية إلى حديث حر عن الأديان وخاصة الإسلام، ومن حديث حر عن الحب إلى حديث حر عن الجنس والخمر، ومن حوار سياسي حول الشرق الأوسط الجديد، إلى حوار عاطفي والعلاقة الصريحة بين الرجل والمرأةإن زوَّار الغرفة يتحدثون عن كل شيء في حرية تامة" "ادريس، عبدالنور، 2006م، 6".

- التنوع الثقافي المحلي:

الثقافة بوصفها طريقة حياة، فإن ذلك يجعلها تأخذ طابع الجماعية والمكان، والزمان أساسا بفعلها، وتفاعلها مع المحيط المحلي والعالمي. على ذلك فإن جميع الدول العربية بها تنوع ثقافي تحت سقف الثقافة القطرية العربية، وكل جماعة ثقافية تعبر عن حياتها ونظرتها للكون من خلال لغة هي علامات ثقافية، فيكون التنوع واضحا في السودان مثلا بين الشمال النيلي، والغرب الصحراوي، والشرق الجبلي... إلخ. وكذا الحال في العراق بين الجنوب، الوسط، الشمال.

والأدب التفاعلي يقوم أساسا على اقتراح المتلقي فاعلا في العملية الإبداعية، وهو في الوقت ذاته مستهدف بالرسالة عبر لغة النص/الكاتب الأول، ونسقه الثقافي والعلامي من خلال استخدام وسائط التكنولوجيا لنقل الصورة بوصفها علامة ثقافية محلية. فعندما يصور سناجلة في رواية (شتات) " "ادريس، عبدالنور، 2006م، 7". مثلا منظر

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

الصحراء وهو يسرد معاناته وتضجره، "المشهد الأول يصف ليلاً صحراوياً موحشاً بأصوات الجنادب الليلة وكثبان الرمل الممتدة على مساحة الشاشة. أما "المشهد الثاني فينقلك إلى نهار صحراوي بالغ الرطوبة والحرارة تتخلله رياح صحراوية مغبرة". فإن الصورة هنا هي علامة هوية تؤشر إلى العرب/الصحراء، وهي مفردة علامة تستدعي مرجعية ثقافية وحقلا دلاليا منفتحا باتجاهين؛ الأنا/المحلي، والهو /الآخر/العالمي. وتأتي الدلالة بحسب المتلقي وموقعه من النص: الصحراء عند العربي المغاربي – الطوارق مثلا– تدل على الحرية، والأمان، والصدق، والوضوح، والراحة... إلخ.. لتعبر عن موقف ضمني من المدينة ومجتمع المدينة في ثقافة الطارقي، أو الصحراوي عموما. وهي نفسها قد تحمل مضامين عند متلق نيلي الثقافة – بغدادي مثلا: الشدة، والغدر، التحفز، الموت، والعطش، والجفاف. وقد تدل على مضامين تؤشر إلى طبيعة الشخصية من منظور الآخر – الأوربي مثلا– فتصف العرب بالجلافة والتوحش والغلظة والقسوة والإرهاب...إلخ.

وفي نص رواية (شات) العالم الفردي الذي لاذ به بطل الرواية هو غرفة الدردشة، حيث الإحساس بالحرية الكاملة –كأنك داخلة حمامك الخاص – وهو عالم افتراضي يعوّض المحلي/الواقع، ويعطي المتلقي هوية ثقافية جديدة؛ هي ما يجمعه مع الأشخاص في الغرف الأخرى على اختلاف بيئاتهم الثقافية، وما يجمعهم هو هذه الهوية الإنسانية؛ بكل قيمها الجديدة في هذا العالم الافتراضي – ولو كانت آنية.

المتلقي بوصفه ممثلا لثقافة محلية ذات مرجعية ثقافية ولغة تعبر بها، هو يلتقي مع آخرين بالصفة نفسها، فإن ذلك يجعل تنوعا ثقافيا يحضر في النص – كثرة في واحد – ينزاح فيها المحلي لصالح العالمي، تنسحب الهوية القطرية لصالح الهوية اللغوية، ويصبح العالم فضاءً (انترنيت، واتس اب... إلخ)، وتتغير دلالات الوطن القومية، وتصبح الهوية إنسانية متحررة من الأرض/الجغرافيا.. تصبح هوية زمان لا مكان.

- **اللغة علامة هوية ثقافية:**

في كل مكان يجتمع فيه العرب، وتكون الفصحى هي لغة الحديث، تبرز علامات لغوية ثقافية تؤشر إلى هوية المتحدث القطرية؛ طريقة النطق مثلا بعض الحروف وقلبها (الذال إلى زين، والثاء إلى سين كما عند السودانيين. الضاد إلى ظاء كما عند العراقيين). هكذا دائما الحال، فإذا تحدثنا بالعامية، فإن الهوية تطفح بكل ثقلها الثقافي. هنا أطرح قضية اللغة بوصفها علامة هوية في الأدب التفاعلي. والعلامة هي العلامة اللغوية والثقافية: وهي أداة يتم من خلالها تمثُّل مفهوم، أو موضوع خلال صورة سمعية كلمة مثلا، أو جملة، أو نص" "http://ar.wikipedia.org/wik"،

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

وأن العرف الاجتماع هو الذي يجعل من العلامات أدوات ثقافية "http://ar.wikipedia.org/wik"، وهي التي تفسر بها الجماعة نصوصها اللغوية.

المتلقي يحتاج لإجراء عملية سريعة يتواصل بيها مع النص من خلال لغته علاماته الثقافية، ويحتاج لترجمة ذلك ليفسر النص وفقا لمرجعيته الثقافية. فعندما يناقش الكاتب مثلا قضية الجنس، فإن المرجعية الثقافية للمتلقي هي التي تحدد مفهومه للجنس في ثقافته المحلة، وكيف يقرؤها واقعه الاجتماعي، والثقافة هي التي تملي عليه قبول مناقشة هذه الفكرة من عدمه، على الرغم من أن الجنس يصنف في بعض المجتمعات العربية مثلا ضمن المسكوت عنه في الثقافة. وهي علامة تؤشر إلى الفعل وتدفع المتلقي إلى تخيل العملية الجنسية، فتنتقل دلالة العلامة إلى تحريض للفعل ذاته، ومن ثم الدخول إلى حقل المرأة، والتحرُّش الجنسي والعنف، والدين من خلال الحلال والحرام ... إلخ. وبعض يتعامل معه – مثل بعض دول المغرب العربي – بوصفه مفردة في قاموس لغته تحمل مضمونا كونيا، مثل غيرها من العلامات اللغوية.

الأخير هذا ما يفعله الأدب التفاعلي بنقله هذه العلامة: المفردة من شحنتها الثقافية المحلية إلى علامة كونية، إنسانية، تدل على فعل الوجود/الخلق والحياة، وهو ضرورة حياتية، بل هي سبب الوجود الإنساني، ومن ثم تكون الدلالة إنسانية، توصل إليها المتلقي من خلال وجوده في خانة الإنسان الحرّ حيث لا رقيب، هو وحده في عالمه الافتراضي؛ غرفة الدردشة، يعبر عن مشاعره وأفكاره كما يريد، وكذلك الآخر في الغرفة الأخرى يتقبلك كما أنت دون السؤال عن هويتك الثقافية المحلية، أنت فقط عبر لغتك التي هي هويتك الإنسانية الآن.

قد "حرص سنا جلة من خلال روايته على كشف المستور في علاقات النت والمناقشة الساخنة التي تدور فيها وبكل جرأة ناقش مسالة الجنس على المسنجر تلك المسألة المسكوت عنها والتي تدور في كواليس غرف الدردشة بين شباب يبحث عن المتعة وتحرير كل رغباته المكبوتة على أرض الواقع فلجؤوا للاحتماء بأسماء مستعارة ليخلعوا خلفها ملابسهم، إن تطرق الأديب سناجلة لهذه المسالة بهذه الجرأة خطوة محسوبة له فقد أشار لها قبل الآن الكثير من النقاد ولكنهم لم يصوروها بهذا التصوير الحي. أبرز سناجلة من خلال روايته ثقافة الجيل الجديد ووعيه لمجمل قضاياه" "ادريس، عبدالنور، 2006م، 8".

- اللغة: النظام والضبط:

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

يطرح الأدب التفاعلي مسالة اللغة ونظامها وضبطها بوضوح، وهو يستخدم اللغة العربية بكل تاريخها، وصمودها لغة ثقافة، وعلامة هوية. وهي مثل معظم اللغات لها قواعدها الصارمة التي تفرض بها هيبتها ووجودها واستمرارها، وتحكم بها الجماعة التي تتحدثها، وتصبغهم بهويتها. هذا عربي يتحدث العربية.

وفي تاريخها الطويل تطورت اللغة العربية،؛ على مستوى المعجم، وعلى مستوى التركيب – استخدام حروف الجر في أول الجملة مثلا: في الحقيقة – وعلى مستوى الدلالة مستفيدة من التنوع الثقافي العربي. وعندما تحضر اللغة أداة تعبيرية في الأدب التفاعلي، فإنها تضع هذا الأدب محل مراقبة صارمة من حراس اللغة، فلا يسمح بالخطأ على أي مستوى منها.

لكن الواقع – سرعة العصر– في الأدب التفاعلي يفرض لغته بوصفه جنسا أدبيا جديدا، له آلياته، وطرق تعبيره التي لخصها رائد هذا الأدب مُحَّد سناجلة بقوله: "نحن الآن نعيش عصر الصورة، ويتراجع باضطراد عصر الكلمة، هو الزمن الرقمي وإنسان هذا الزمن" الإنسان الافتراضي الذي فرض لغته ومفرداته الجديدة على اللغة عموما، وفعل الكتابة كما هو معروف يتوجه لمتلقٍ هو القارئ المفترض وحتى يصل الكاتب إلى هذا المتلقي لا بد وأن يخاطبه بلغته نفسها، ذلك أن الكتابة هي فعل جدلي بين طرفين، الكاتب من جهة والقارئ من جهة أخرى، فاذا لم يتقن الكاتب لغة القارئ أو لم يفهم القارئ لغة الكاتب اختلت العلاقة في الفعل الكتابي نفسه، من هنا فلم يعد ممكنا مخاطبة القارئ بلغة آخذة في الأفول والتراجع، بل لا بد للكتابة أن تستوعب وتحتوي متغيرات العصر، لا بد للغة أن تطور ذاتها وأن تتقدم باتجاه آخر" "ادريس، عبدالنور، 2006م، 8".**

ويُثار سؤال اللغة في ظل تراجع الاهتمام بها، وشيوع الأخطاء الكثيرة، والكبيرة في رسمها وإعرابها/ نظامها، ونطقها، هذا يصعب الأمر بعض الشيء على عملية الأدب التفاعلي، التي تكون الكلمة فيها جزء من كل، فبالإضافة إلى الكلمات "يوظف كل التكنولوجيا الحاسوبية والوسائط المتفاعلة؛ لخلق ثورة في أشكال إبداع، وتلقي النص المترابط التفاعلي، الذي يستعمل النص الكتابي، والصوت، والموسيقى، والصور الثابتة، والمتحركة، والتشكيل الجرافيكي المتموج، والخرائط، والرسم البياني، وكل الوسائط المتفاعلة المرتبطة بالحاسوب" "ادريس، عبدالنور، 2006م، 9". يفرض هذا مراقبة اللغة، والحذر الشديد في التعامل معها في قالب جديد. بحسب توصيف مُحَّد سناجلة: "اللغة المشهدية" "ادريس، عبدالنور، 2006م. 9"، التي لخصها في:

أولاً: في لغة رواية الواقعية الرقمية لن تكون الكلمة سوى جزء من كل، فبالإضافة إلى الكلمات يجب أنْ نكتب بالصورة والصوت والمشهد السينمائي والحركة.

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

ثانياً: الكلمات نفسها يجب أنْ ترسم مشاهد ذهنية ومادية متحركة، أي أنّ الكلمة يجب أنْ تعود لأصلها في أنْ ترسم وتصور، وبما أنّ الرواية أحداث تحدث في زمان ضمن مكان، وهذه الأحداث قد تكون مادية ملموسة أو ذهنية متخيلة فعلى الكلمات أنْ تمشهد هذه الأحداث بشقيها.

ثالثاً: على اللغة أنّ تكون سريعة، مباغتة، فالزمان ثابت =1، والمكان نهاية تقترب من الصفر ولا تساويه، ومن هنا فلا مجال للإطالة والتأني، فحجم الرّواية يجب أنْ لا يتجاوز المائة صفحة على أبعد تقدير، ولن يكون هناك مجال لاستخدام كلمات تتكون من أكثر من أربعة أو خمسة حروف على الأكثر، أمّا الكلمات الأطول فيفضل أنْ يتم استبدالها بكلمات أقصر تؤدي نفس المعنى إنْ أمكن.

رابعاً: الجملة في اللغة الجديدة يجب أنْ تكون مختصرة وسريعة، لا تزيد عن ثلاث أو أربع كلمات على الأكثر.

خامساً: إنّ ما سبق يعني أنّ على الروائي نفسه أنْ يتغير، فلم يعد كافياً أنْ يمسك الرّوائي بقلمه ليخط الكلمات على الورق، فالكلمة لم تعد أداته الوحيدة، على الروائي أنْ يكون شمولياً بكل معنى الكلمة، عليه أنْ يكون مبرمجاً أولاً، وعلى إلمام واسع بالكمبيوتر ولغة البرمجة، عليه أنْ يتقن لغة الـ "HTML" لى أقل تقدير، كما عليه أنْ يعرف فنّ الإخراج السينمائي، وفنّ كتابة السيناريو والمسرح، عاديك عن فن الجرافيك والـ "Animation". لقد حاولت شيئاً من كل ما سبق في روايتي الجديدة " شات" وقبلها – بصورة أقل – في "ظلال الواحد.

سادساً: إنّ تغيّر اللغة يعني أنْ تتغيّر الرّواية، فلن تعود الرّواية مجرد كتاب يحتوي على كلمات، ولعل السؤال الآخر، السؤال المخفي، والذي يطرح نفسه بقوة هو: أي كتاب سيتسع لكل هذا؟! وهل الكتاب الورقي قادر على ذلك؟! والاجابة بالتأكيد لا. ولنقلها صراحة: لقد انتهى عصر الورق" "ادريس، عبدالنور، 2006م، 10".

ربما يكون هذا التوصيف جيدا، لكن لا نستطيع أن نتكهن بصرامته وحفاظه على اللغة، خاصة في ظل ضعف لغة (شات)، واستخدام حروف (الكي بورد الإنجليزية محل العربية). وقد ثبت وجود أخطاء كثيرة في رواية سناجلة (شات)، "لاحظت بعض الأخطاء اللغوية والإملائية في بعض السطور، وكان ينبغي التدقيق في اللغة،.. وأعتقد أن لغة الرواية، أو لغة العمل الخاصة، أو لغة الفن، لن تكتمل بدون أن تكون لغتها العربية سليمة بالأساس "شبلول، أحمد، 2006م،4". وفي الرأي أن هذا هو محك الأدب التفاعلي المستقبلي، لانه سؤال الهوية؛ الهوية الإنسانية المنتجة والفاعلة في حضارة عصرها، والبقاء في قلب العولمة، لكن بشخصيتك الثقافية الإنسانية، لأن ثقافة العولمة تفترض الحوار الثقافي باتجاه فرض الثقافة المهيمنة، فإذا لم تحافظ على هويتك الثقافية، فإن تاريخا إنسانيا، وحضارة كانت فاعلة/ منتجة، قد تراجعت وأصبحت منفعلة، مستهلكة.

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

- الهوية الإنسانية ومكانية النص:

العولمة؛ هذه المفردة تؤشر إلى ثقافة العصر الحديث، وتحمل مدلول الهيمنة والأيديولوجيا، خلفية/ستار باهتة في الصورة، قوية في الواقع الحياتي، وهي تعني جعل الشيء عالمياً، أو جعل الشيء دولي الانتشار في مداه أو تطبيقه. وهي لم تقتصر فقط على البعد المالي والاقتصادي، بل تعدت ذلك إلى بعد حيوي ثقافي؛ متمثل في مجموع التقاليد والمعتقدات والقيم، كما أن العولمة لا تعترف بالحدود الجغرافية لأي بلد، بل جعلت من العالم قرية صغيرة. ويستخدم مفهوم العولمة لوصف كل العمليات التي تكتسب بها العلاقات الاجتماعية نوعاً من عدم الفصل وتلاشي المسافة، حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد؛ قرية واحدة صغيرة. ويعرف المفكر البريطاني رونالد روبرتسون العولمة بأنها: "اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش"، كما يعرفها مالكوم واترز مؤلف كتاب العولمة بأنه: "كل المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد، أو بدون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد" "http://ar.wikipedia.org/wiki".

من خلال آليات الأدب التفاعلي أصبح العالم/المكان نصا افتراضيا، تسيطر في وتتحكم الآلة (الكمبيوتر، والواتس اب.. إلخ). هذا المفهوم يطرح عدة إشكاليات على مستوى الثقافة واللغة والهوية. وثمة مفردة تختصر المسافة بين هذه الأقانيم هي مفردة (الوطنية)، وهي مفردة علامة تؤشر إلى (المكان، والهوية، واللغة)، هي المفردات نفسها التي أرهقها طَرْق العولمة عليها.

يستطيع الإنسان أن يسكن اليوم في مكان – دولة أخرى – يزاول عمله في أخرى تفصلهما مئات الأميال. تُجرى عمليات جراحية عبر الوسائط التي يستخدمها الأدب التفاعلي نفسه. فالوطن أصبح عالما افتراضيا على مستوى الجغرافيا/المكان، وأصبح معنى إنسانيا على مستوى الانتماء/االزمان، بعد أن كان ثقافيا/اجتماعيا، ولكن اللغة ضابط ثقافي مهم؛ هي ما يعطي الهوية الثقافية للمتلقي عبر النص. فالنص أصبح المكان، حيث تتحقق الهوية، وتؤمن المرجعية الثقافية التفسير لتصل الرسالة، وتفعل الأيديولوجيا فعلها في نقل أفكار الكاتب، وتمريرها من خلال مناقشة قضايا مسكوت عنها في ثقافة المتلقي، وفرض إحساس بالحرية زائف – على مستوى الواقع– ولكنه حقيقي على مستوى الشعور/المعنى، ومن ثم صك قيم إنسانية تتجاوز المحلي الثقافي بكل علاماته إلى علامات العولمة —الصورة– قيم مثل الحرية، واالعدالة، والمساواة، وحقوق الإنسان، والجندرة، وحقوق الطفل... إلخ. ويصبح النص هو المكان الذي تتحقق فيه هذه القيم في تفاعل بين الكاتب والمتلقي، وتواصل هو سمة العصر وأساس الأدب التفاعلي.

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

نستشف من خلال ما تقدم محورية المتلقي في الأدب التفاعلي؛ إذ هو قطب الرحَى فيه وهذا ما بيّنه وعزّزه أكثر سعيد يقطين في قوله: عبارة من المتلقي إلى المبحر المتفاعل "الصراف، نهى، 2008م، 3"، وكانت هذه النقلة النوعية وليدة التغيرات التي طرأت على المبدع بطبيعة الحال؛ والذي انتقل من التأليف الورقي الخطي إلى مرحلة النص الإلكتروني "الصراف، نهى، 2008م، 3"، ومن ثم حدث تغيير على المتلقي الذي صار يستقبل نصا إلكترونيا من خلال الشاشة الزرقاء والتي فتحت له آفاقا جديدة وخيارات شتى في تلقي نصوص إلكترونية بما فيها الأدب التفاعلي "بن يامنة، سامية، 2013م، 2".

- أفق الأدب التفاعلي:

ينتظر الأدب التفاعلي بوصفه جنسا أدبيا جديدا أن يكون رهانا ينقل الثقافي المحلي إلى فضاء الهوية الإنسانية، ليمثل حصان طروادة يحمل الثقافة العربية إلى قلب العولمة؛ قيما عربية أصيلة، هي أساس الإنسان الذي كرمه الله تعالى برسالته، وأنزل نصا بلغة حملت صفة التقديس، وتكفل بحفظه/حفظها. ولكن ثمة أسئلة تفرض نفسها بقوة، تطرحها هذه الورقة لتكون مفاتيح لبحوث قادمة، ومحلا لنقاشات مستمرة في أفق الأدب التفاعلي وهي:

1. هل العرب جاهزون لهذه النقلة؟.
2. الاعتراف بالآخر، هل هي قيمة ثقافية عربية، وكيف يمكن ترسيخها؟.
3. هل تستجيب اللغة العربية الى اقتراحات منظري الأدب التفاعلي – مُحَمَّد سناجلة مثلا –، وتحفظ في الوقت ذاته هوية مستخدميه؟.
4. كيف يستطيع العرب الايفاء بآليات الأدب التفاعلي – آليات التكنولوجيا– في ظل تفشي الفقر والأمية؟.
5. يحتاج الأدب التفاعلي لجهاز كمبيوتر ذي مواصفات تستطيع أن تعرض النص مع الصورة مع الصوت (أو ما يعرف بالملتيميديا، أو الوسائط المتعددة). مع اتصال سريع بشبكة الإنترنت، وبرنامج خاص تقرأ من خلاله الرواية ، وهنا نطرح سؤال من الذى سيقرأ رواية شات هل هم النخبة المعلوماتية؟!.
6. هل انتهى عصر الورق فعلا كما يزعم مُحَمَّد سناجلة؟.
7. هناك فجوة بين دول تبتكر المعلومات وتوظفها بمهارة، وبين دول تستهلك المعلومات بمهارات محدودة، بمعنى أدق فجوة معلوماتية بين دول المركز ودول الأطراف، بين دول الشمال ودول الجنوب. وهى ما يسمى بظاهرة تفاوت المعلومات أو عدم المساواة في المعلومات. كيف تستطيع الدول العربية ردم هذه الفجوة؟ ومتى؟.

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

- إحالات:

* http://www.arab-ewriters.com/chat: استقى الروائي محمد سناجلة عنوانها من إحدى أهم مفردات التواصل الإنساني عبر شبكة الإنترنت، وهي المحادثة مع شخص واحد، أو مجموعة من الأشخاص داخل غرف الدردشة الإلكترونية، باستخدام غرف مكتوب .(بالإضافة إلى استخدامه لمفردات أخرى من مفردات هذا التواصل مثل الماسنجر (ماسنجر ياهو)، والبريد الإلكتروني، ولقطة فيديو من أحد الأفلام الأمريكية، هو American Beauty "الأمريكي الجميل"، فضلا عن استخدام بعض المؤثرات الموسيقية، وبعض المشاهد الطبيعية مثل مشاهد السماء والقمر والنجوم، وهي تختفي مع بزوغ الفجر، يعقبها منظر الصحراء اللانهائية والكثبان الرملية التي يفتتح بها مشاهد روايته، وتوظيف بعض اللوحات التشكيلية كخلفية للنص المكتوب عبر أربعة عشر فصلا، تبدأ بالعدم الرملي، وتنتهي بـ "حتى يستقر الكون .". للمزيد من التفصيل، أنظر: عبد النور إدريس "النشر الإلكتروني والأدب التفاعلي من خلال رواية شات، ندوة حوار الحوار المتمدن، العدد 1485 ، 3 أكتوبر 2006م المحور: مقابلات وحوارات: الملتقى الثقافي الالكتروني" " أسمار: http://www.asmarna.org.

** عبد النور إدريس. النشر الإلكتروني والأدب التفاعلي من خلال رواية شات ندوة حوار، مصدر سابق. ومحمد سناجلة هو الروائي الأردني، رئيس اتحاد كتاب الإنترنت العرب؛ مؤسس نظرية "رواية الواقعية الرقمية" و" أدب الواقعية الرقمية" وهو أول من نحت واستخدم هذين المصطلحين في العالم وكانت روايته "ظلال الواحد" الصادرة بنسختها الرقمية عام 2001م ونسختها الورقية عام 2002م أول رواية واقعية رقمية في العالم. كانت روايةظلال الواحد أول رواية في العالم العربي تستخدم التقنيات الرقمية المستخدمة في بناء شبكة الانترنت في البنية الروائية نفسها وذلك من خلال استخدام تقنية الهايبر تكست أو الرابط( links) في السرد الروائي. الموقع الإلكتروني :http://www.arab-ewriters.com؛ و http://www.sanajlehshadows.8k.com؛ البريدالإلكتروني :sanajleh@yahoo.com و sanajleh@maktoob.com.

- المصادر والمراجع:

1. أحمد فضل شبلول، النشر الإلكتروني والأدب التفاعلي من خلال رواية ندوة الحوار المتمدن "العدد 1485، 3 أكتوبر 2006م".
2. خروبي بلقاسم، الملتقى الثاني حول السرديات، ورقة الهوية في التخاطب السردي العربي وإشكالية التلقي، رواية (قصة بحار) حنا مينة نموذجا، جامعة ورقلة، الجزائر" ص391.
3. سامية بن يامنة، الأدب التفاعلي بين الإبداع والتلقي، جامعة مستغانم، الجزائر، mosta.dz/index.php".
4. عبدالرحمن بسيسو، الثقافة والهوية "مخطوط بوزارة الثقافة، فلسطين، 2005م".
5. فاطمة البريكي، ماهية الأدب التفاعلي "جامعة الإمارات، عضو اتحاد كتّاب الإنترنت العرب، https://www.dorar-aliraq.net/threads/98404".
6. عبد النور إدريس، النشر الإلكتروني والأدب التفاعلي من خلال رواية ندوة الحوار المتمدن "العدد 1485، 3 أكتوبر 2006م، المحور: مقابلات حوارات: الملتقى الثقافي الالكتروني: أسمار: http://www.asmarna.org".
7. نهي الصراف، الأدب التفاعلي في ضوء المتلقي "بانوراما الصحافة، 22 يناير 2008م".

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

8. http://www.asmarna.org.
9. http://www.arab-ewriters.com.
10. sanajleh@maktoob.com.
11. http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8.